من وراء البحار

مصر والســـــودان

تثير مطالب مصر من انجلترا ، تعليقات مغرضة فى الصحف والمجلات البريطانية ، قد يختلف كل منهـا فى نزعتـه ولهجتـه باختـلاف مذهب الصحيفة أو المجلة ، ولكنها تجتمع كلها فى تأييد وجهة النظر البريطانية . وقد رأينا أن ننقل نموذجاً من مجلة « العالم اليوم » التى يصدرها المعهد الملكى للشؤون الدولية . وهى تعتبر من أكثر المجلات اتزاناً فى بحثها للشؤون الدولية .

وقد تكلمت فى مقالها الافتتاحى فى عدد شهر فبراير عن بريطانيا ومصر ، ومستقبل السودان ، فقالت بعد عبارة قصيرة ليست هى المرة الأولى التى تبين فيها أن مسألة السودان لم تكن حجر عثرة فى طريق الاتفاق مع مصر فقط ، بل هى الصخرة التى تتحطم عليها المجهودات فى سبيل الاتفـاق . ففى سنة ١٩٣٠ عدل عن محـاولات الوصول إلى الاتفاق وهى على أهبة النجاح لسبب واحد ، هو استحـالة التوفيق بين وجهتى نظر الحكومتين المصرية والبريطانية فى هذا المشكل. ولذلك كان مما يدعو للاغتباط فى سنة ١٩٣٦ ، أن وجد سبيل للاتفاق فى المعاهدة القائمة أمكن به نجاح المفاوضات فى شأن جميع المسائل الأخرى ، على أن تترك المسألة التى لا يمكن حلها لتكون موضوعاً مستقلا للبحث فيما بعد .

فقد اتفق الطرفان فى تلك المعاهدة على أن تظل إدارة السودان على حالتها الناشئة عن الاتفاق على الحكم الثنائى الذى عقد فى سنة ١٨٩٩ مع «الاحتفاظ بحرية عقد اتفاقات أخرى فيما بعد » ، لذلك استمر السودان يديره حاكم عام ذو سلطة عليا « يعين بناء على توصية الحكومة البريطانية » . على أن مصر لم تنزل عن سيادتها عليه إذ أن المادة ١١ (فقرة ٣) تنص على أنه « يجب ألا يتعارض ما نص عليه فى هذه المادة مع مسألة السيادة على السودان » . وفضلا عن ذلك استطاعت مصر أن تزيل بعض الموانع التى فرضتها عليها الحكومة البريطانية بعد مقتل الحاكم العام فى سنة ١٩٢٤ ومنها إعادة فتح المناصب الادارية للموظفين المصريين .

على أن التسوية لم تؤد إلى أكثر من وضع الصعوبة على الرف . ومازالت

مصر مصرة على أن السيادة على السودان مرتبطة بالتاج المصرى . وهى تزعم أن وحدة وادى النيل ضرورية لأمنها وسعادتها ، على حين تتمسك الحكومة البريطانية بأن الاشتراك المصرى الانجليزى فى إدارة تلك البلاد هو بمثابة وديعة للشعب السودانى على قول مستر رمزى مكدونلد فى برقية أرسلها إلى القاهرة فى سنة ١٩٢٤ ، وصرح فيها أنه يجب ألا تثار مسألة السودان بل يجب أن تترك إلى أن يتم العمل فيه (أى إعداد السودانيين للحكم الذاتى) . وتؤيد الحكومة البريطانية الحالية هذا الرأى، وتلاحظ أنه عندما يحين الوقت لكى يقيم السودانيون الحكومة التى يرغبون فيها يكونون بالطبيعة أحراراً فى اختيار بقاء علاقته مع مصر أو عدم بقائها .

ومما يؤسف له فيما يتعلق بأمل الوصول إلى تسوية أن استمر الساسة المصريون واستمرت الصحافة المصرية مدة خمس وعشرين سنة ينادون بوحدة وادى النيل . وفى سنة ١٩٣٠ كانت النظرية التى استعملها النحاس باشا (وكان يومئذ رئيساً للحكومة) فيما يتعلق باتفاقية الحكم الثنائى هى أن السيادة المصرية على السودان لاتتجزأ بالرغم من هذه الاتفاقية ، إذ أن غرض هذه الاتفاقية إدارى محض لا سياسى . أما الزعماء الحاليون اليوم فيظهر أنهم يكتفون بالزعم أن السودان ومصر شئ واحد ، ولا يرون من الضرورى أن ينيروا أذهان شعبهم فيما يتعلق بالظروف التى عقد فيها اتفاق الحكم الثنائى . أى إن هذا الاتفاق قد تم بعد إعادة فتح السودان (الذى نجح فى الانتقاض على سوء الحكم المصرى) بحملة مؤلفة من جنود بريطانية وجنود دربهم البريطانيون ، وقاد هذه الحملة لورد كتشنر . ونتيجة هذا أن السواد الأعظم من المصريين لا يعرفون إلا أن البلاد السودانية كانت فى وقت ما جزءاً من أراضى الخديو ، وأن رخاء مصر يتوقف على مياه النيل إن لم تتوقف عليها حياتهم .

ومن المؤكد أن لمصر كل حق فى أن تطلب ضمانات كاملة لسلامة حدودها الجنوبية ، وأن تكون واثقة كل الثقة بألا تتعرض مواردها من مياه النيل للخطر . على أن هذه الأمور معترف بها تماماً فى بريطانيا والسودان . وقد عقدت اتفاقية مياه النيل فى سنة ١٩٢٩ بوجه خاص لكى تزيل كل خوف ، بأن أية مشروعات مستقبلة لرى السودان وحجز المياه فيه ، لن تعرقل على أية حال ماتطلبه مصر من

مياه . وقد نصت هذه الاتفاقية على إنشاء خزان جديد فى السودان تعود كل الفائدة منه على مصر . وتقرر فى هذه الاتفاقية مبدأ عدم اتخاذ أية ، إجراءات فى السودان تضر بمصالح ، مصر ، وأن يكون هنالك تعاون بين مصالح الرى فى البلدين .

أما فيما يتعلق بالمأزق الحالى فان مايسمى ببروتوكول السودان ، لم ينشر . ولكن من الواضح أن الحكومة البريطانية تصر على مبدأ أن يكون مصير السودان فى المستقبل من شأن السودانيين أنفسهم بالاختيار الحر . وفى رأى هذه الحكومة أنها لا تستطيع «أن تنزل عن حقوق شعب فى الاستقلال الذاتى بالاتفاق على ذلك مع طرف ثالث » . ومما يجعل هذا القول أكثر صواباً أنه قامت حركة وطنية استقلالية فى السودان نفسه . على أنه مما يؤسف له أن هذه الحركة يمثلها حزبان يختلفان اختلافاً كبيراً فى كثير من وسائلهما وأغراضهما . ولكن كلا الحزبين ينادى بأن يكون السودان مستقلا وبعيداً عن أى تدخل من بريطانيا أو من مصر .

حول الأديب الفرنسى كامو

أبدى مستر ماسون فى صدر مقاله عن كامو Camus فى مجلة « سكروتنى » الانجليزية ، عدد يناير سنة ١٩٤٧ ملاحظة تسترعى النظر ، هى قوله إن فى الأدب الفرنسى المعاصر ظاهرة عجيبة ، هى أن ثلاثة على الأقل من كتاب النثر قد نشر كل منهم بحثاً فلسفيا ، ومسرحية ، ورواية قصصية . فقد كتب مسيو ألبير كامو ، فضلا عن قصتيه « الغريب » و « رسائل لصديق ألمانى » ، مسرحيتين هما « سوء التفاهم » و « كاليجولا » ، ومقالا عن السخافة باسم « أسطورة ستيف » ، وجمعت له مجموعة مقالات لم يكن قد بلغ فيها مستواه الناضج ، صدرت تحت اسم « العرائس » . وبالرغم من أن مسيو كامو يقرن اسمه بپول سارتر وسيمون دى بوفوار على أنه من أتباع مذهب الوجودية ، فان هذا الوصف لا يدل على الحقيقة أكثر من القول بأن الكتاب الانجليز أودن وداى لويس وسبندر هم أنصار مذهب واحد . وكل مايشترك فيه هؤلاء الكتاب الفرنسيون الثلاثة أن لكل منهم فلسفة تظهر فى مسرحياته وقصصه . ولمسيو كامو الذى كان معلما للفلسفة آراء طريفة ، قد

لاتكون متناسقة كفلسفة صرفة ، ولكنها تمثل نظرة نحو الحياة والموت يشترك فيها كثيرون من الناس فى زماننا .

ولعله عمد إلى شرح هذه الفلسفة فى روايته « الغريب » ، ولكن فى هذه الرواية أيضاً فضيلة نادرة هى أنه فكر فيها وبناها من أول صفحة إلى آخر صفحة ، بل نجد أن الصفحة الأخيرة مرتبطة كل الارتباط بالصفحة الأولى . وفى هذه الرواية ميزة أخرى هى أن معناها الحقيقى لا يعرف إلا فى النهاية . و يجب قراءتها حتى هذه النهاية لكى يعرف مغزاها . فالمؤلف إذن قابض تماماً على مادته وهو يتناولها فى أسلوب بين متزن لا يعترضه حشو أدبى .

وقصة « الغريب » التى تروى على لسان بطلها ، هى قصة مرسو الذى يعيش فى الجزائر ويعمل عملا كتابيا بسيطاً . . . وقد وضع والدته قبل ثلاث سنوات فى دار للعجزة بمارنجو . وفى ابتداء الرواية تكون والدته توفيت ، فذهب يشيعها إلى مقرها الأخير . وعند عودته إلى الجزائر يذهب إلى حوض للسباحة ليقابل فيه مارى التى كانت تعمل على الآلة الكاتبة فى المكتب الذى يعمل هو فيه . فيذهبان فى المساء إلى رؤية شريط سنمائى هزلى ثم يبيتان معاً . وتبغى الفتاة الزواج منه فلا يمانع بالرغم من عدم تحمسه ، ولكن قبل حدوث الزواج يساعد مرسو رجلا يعرفه ممن يتاجرون فى النساء فى مشاحنة له مع إحدى ضحاياه ، وتتوطد بينهما الصداقة فيذهبان بصحبة مارى فى يوم السبت التالى إلى أحد المصايف . وهنالك يتبعهم بعض الأعراب الذين هم أصدقاء لأخى المرأة المعتدى عليها ، وينشب بينهما وبين الأعراب عراك يجرح فيه الصديق . على أن مرسو يتدخل بين المتعاركين ، ويستولى على مسدس صديقه حسما للنزاع . ويحدث بعد ذلك أن يخرج للنزهة، وكانت الشمس تسطع حارة ويتصبب من جسده العرق، فاذا به يعود إلى مقابلة أحد الأعراب الذى يرغب أن يستأنف العراك ، ويخرج هذا الأعرابى سكيناً فاذا مرسو يفرغ المسدس فيه و يرديه جثة هامدة .

كان من المستطاع أن تنتهى هذه القضية باعتبارها قتلا حدث مع ظروف مخففة . ولكن إجابات بطل القضية أمام قاضى التحقيق تصدم آراء القاضى المسيحية، فيأخذ فى التوسع فى تحقيقه ، و يرى حتى فى مسألة وفاة الوالدة سعى جديداً ، ويزيد المتهم عناداً وتمسكا بما يعتقد أنه الحق ، فيحكم عليه بالموت . وعندما يذهب إليه

القسيس قبل تنفيذ الحكم يأبى أن يقابله بل ينهال عليه ضرباً ، وتكون رغبته الأخيرة أن يشهد تنفيذ الحكم عليه جمهور ساخط .

قد تكون هذه القصة مقتبسة من إحدى الصحف كما فعل ستندال فى قصته «الأحمر والأسود» ، ولكن أبرز ما فيها ليس النضال بين بطلها وبين الهيئة الاجتماعية ومصطلحاتها ؛ فمرسو فى هذه القصة شهيد العقيدة لا شهيد الهيئة الاجتماعية ، ومأساته هي مأساة جميع الذين يشاطرون مسيو كامو رأيه .

فهناك ثلاثة آراء أساسية يتجه إليها المؤلف فى كتابه : أولها أن بعض الأشياء التى تعتبر ذات أهمية هى فى الحقيقة عديمة الأهمية . وثانيها أن هنالك قيما خاصة ، ولكن ليس من الضرورى أن نأخذ بهذه القيم أو نهملها . ومن وراء الثقة بالنفس توجد عقيدة فى بعض القيم لا تتأثر حتى بالموت المحتوم .

وقبل مناقشة هذه الآراء يحسن أن نذكر أن بعض الناقدين يرون فى بطل الرواية أنه نضبت فيه جميع موارد الاحساس ، ويرى الآخرون أنه يفيض بالحياة الداخلية ، ويرى كاتب المقال فيه أن هذا اللاشعور منه هو طريقة تبعث على الاهتمام فى بطل الرواية ، ويجب أن ننظر إليه على أنه يمثل اتجاهاً جديًّا فى الحياة . ولقد حرص مسيو كامو على أن يكثر البطل من الحديث عن نظرته إلى الشئ العديم الأهمية ، ومن هذه الأحاديث نشعر بأن للبطل قيما خاصة فى الحياة ، أولها الطموح إلى الرجولة ، فان اضطهاده جعل منه رجلا وبطلا .

وليس من السهل أن نرى فى هذه القصة مأساة . أجل ! إن فقد المرء لحياة عشرين سنة هى مسألة مؤلمة لدى أولئك الذين يقيسون الحياة بهذا القياس ؛ ولذلك كان ما تقوم عليه هذه المسألة : هل هناك فيما وراء موت البطل فى مقتبل العمر ما يدل على القدر المحتوم ؟ إن الأمر المحتوم فى هذه القصة على ما يظهر هو احتمال حدوث المصاب دائماً ، حتى الحياة لتظهر كفخ نصب لحيوان . ولكن لا يمكن الدلالة على أن مسيو كامو أراد شيئاً غير فكرة الموت المحتوم الذى يجعل الأمور متساوية فى الأهمية وعدم الأهمية .

وإذا سألنا ما هو اتجاه البطل فى هذا العالم لرأيناه القبول السلبى لظروفه . وفى المأساة التى تحل به كل التأثير الذى نجده فى خير القصص الأمريكية ، إلا أن فى الفلسفة الساخرة للمؤلف الفرنسى ما لا يوجد عند غيره من الكتاب .